الخط العربي النشأة والتطور والخصائص

الخط العربي هو عبارة عن حلقة من الحلقات المرتبطة بالتاريخ العربي الكبير، فهو يشبه الكثير من الخطوط الأخرى واللغات الأخرى الهيروغليفي أو الهيراطيقي أو الديموطيقى، فهو يشبه تلك الخطوط من حيث تأثير الحضارة بيهم.

كما أن هذا الخط له تأثير كبير في التاريخ الإسلامي، فعندما يدخل الإسلام أي دولة يدخل معه الخط العربي، لذلك انتشر الخط العربي في الكثير من الدول وبين الشعوب، كما يجب أن نشير الى أن الدين الإسلامي هو الذي ساعد في تطور الخط العربي بنحوٍ كبير.

والخط العربي هو أهم الفنون التي أبدعتها الحضارة العربية الإسلامية وأكثرها انتشاراً في بلاد العرب والمسلمين على السواء، إذ هو حاضر في أنواع العمائر كما في الأواني والأثاث والملابس، وهو صناعة تثير في النفس أصدق مشاعر التوقير والإجلال ويشعر المسلم بأنه عضو في الأمة الإسلامية، إذ هو قبل كل شيء أداة التعبير القرآني، وهو هندسة روحانية بآلةٍ جسدية تجمع بين تجريد المعنى ومادية الرسم، وتحيط الناظر بأطر جمالية معرفية تمزج المادي بالمجرد فيرى نفسه فيه ويعمل على تجاوز المادي بحثاً عن المجرد تمكيناً لإيمانه بالله العلي القدير وسعياً به إلى الرقي في درجات الكمال.

حظي الخط العربي بأهمية كبيرة في الحضارة العربية الإسلامية وظهرت الحاجة إليه منذ بداية النهوض الحضاري الذي شهدته الأمة العربية في صدر الإسلام. وقد تجلت فضيلة الكتابة والخط أن جعلها الله تعالى في أول آية افتتح بها الوحي؛ قال تعالى في كتابه العزيز: (اقرأْ وربكَ الأكرمَ الذي علمَ بالقلمِ، علمَ الإنسانَ ما لمْ يعلمْ). فكانت أعظم شاهد لجليل قدر الكتابة، وأول سورة نزلت في القرآن الكريم تذكر القلم أضاف فيها (سبحانه وتعالى) تعليم الخط إلى نفسه. وامتن به على عباده وناهيك بذلك شرفاً. وأقسم الله تعالى بما يسطرون والأقسام لا يقع منه سبحانه إلا بشرف ما أبدع فقال (عز وجل) في معرض القسم: (ن. والقلمِ وما يسطرونَ). وما قسمه تعالى إلا بعظيم ما أبدع فأقسم بما يسطر وما ذلك إلا الخط. وأكد ذلك فأقسم بالقلم الذي هو آلة الخط.

نشأته وتطوره

١. أصل الحروف العربية:

تكاد تجمع معظم المصادر العربية القديمة، على أن الخط الذي كتب به العرب، قد علمه الله (عز وجل) لآدم عليه السلام، فكتب به الكتب المختلفة، ولكن هذا الرأي لا يقوم على أساس من العلم أو سند من التاريخ الصحيح.

وما جاء في مقدمة ابن خلدون، دحض لذلك، إذ عدّ ابن خلدون الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية، وقياساً على ذلك، فهو ضرورة اجتماعية اصطنعها الإنسان، ورمز بها للكلمات المسموعة.

والكتابة كما هو معروف، تعد المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية، تابعة في نموها وتطورها شأن كثير من الصناعات المعاشية لتقدم العمران والحضارة. ولهذا لسبب فإن الكتابة تنعدم مع البداوة، وتكتسب وتزدهر مع التحضر.

وقيل: إن ما وصلت إليه هذه الحروف من المكانة الفنية يعد من أكثر التطورات التاريخية عظمة، إذ أصبح الخط العربي أول الخطوط السامية تناسقاً، وأبدعها شكلاً، واستطاع عباقرة الخط -في ما بعد- أن يضعوا له قواعده وأصولاً روعي فيها أن تؤدي صور الحروف حسناً في النظر شبيهاً بحسن مخارج اللفظ العذب في السمع.

٢. نشأة الخط العربي:

يرجع الفضل في انتقال الكتابات القديمة لمرحلة الحرف إلى الدولة الفينيقية، منذ أكثر من ثلاثين قرناً. ثم تفرعت الحروف الفينيقية إلى أربعة فروع، هي: الآرامية، واليونانية، والحميرية، والعبرية. ثم تفرع الخط الآرامي إلى ستة فروع، وهي: التدمري، والهندي، والفارسي، والفهلوي، والعبري، المربع، والسرياني. ثم نشأ من الخط السرياني خطان، وهما: الخط الحميري، والخط النبطي.

ثم تفرع الخط النبطي إلى الخط العربي. وهكذا أخذ العرب خطهم عن الأنباط، والأنباط عرب، كانوا يسكنون شمالي الجزيرة العربية، وكانت عاصمتهم البتراء. وقد أثبتت النقوش الأثرية التي اكتشفها المستشرقون في سوريا، أن الخط العربي قد اشتق من الخط النبطي. وهذا النقش يشتمل على ثلاثة أنواع من النقوش المكتوبة بالخط النبطي العربي:

أ ـ نقش وجد في موقع أم الجمال في سورية، أرخه ليتمان بسنة (٢٧٠م) تقريباً.

ب ـ نقش وجد في صحراء النمارة، كتب على قبر امرئ القيس، تاريخه (٣٢٨م).

ج ـ نقش وجد في مدينة حران جنوبي سورية، تاريخه (٥٦٩م).

٣. تطور الخط العربي

مر الخط العربي بالكثير من التطوير، لذلك من أهم تلك المراحل هي:

* أن الدين الإسلامي قد انتشر خارج البلاد الجزيرة العربية، منذ تلك اللحظة أصبحت اللغة العربية الأكثر استخدام في مجالات عديدة، وبدأ الكثير من الأشخاص يدخلون في الإسلام ويتعلمون الخط العربي.

* كما أن التنوع الفكري في الدول المختلفة التي داخلها الإسلام، أدى ذلك إلى تنوع العديد من المدارس في الخط العربي، ومن أهم تلك المدارس هي الخط الديواني والخط التعليق.

* أما بالنسبة الى التطوير الكبير الذي قد حدث في الخط العربي هو في عصر الدولة الأموية، فقد قام أبو الأسود الدؤلي بوضع نظام التنقيط الخاص برسم الحركات، وهب حركات يتم وضعها بجانب الحروف أو فوقها أو تحتها.

* قد انتشر هذا النظام بنحوٍ كبير في عصر الحجاج بن يوسف.

* وقد تم كتابة القرآن الكريم بطريقتين مختلفتين كانت علامات الإعراب بالأصفر والأحمر، بينما الحروف كانت باللون الأسود.

* كما أن الخليل بن أحمد الفراهيدي قد قام بإدراج نظام وطريقة مغايرة في التشكيل.

* هذه الطريقة لا تعتمد على الألوان، وأن هناك العديد من الرموز المتنوعة في الشدة، والحركات والهمزة.

خصائصه

يمتاز الخط العربي بالكثير من الخصائص التي جعلته مميزاً من غيره من الخطوط الأخرى، ومن أهم تلك الخصائص هي:

* قد نشأ الخط العربي نشأة عربية كاملة، لم يتدخل فيه أي عوامل أخرى، فقد قال الدكتور مصطفى عبد الرحيم: **يعد الخط العربي هو الفن الوحيد الذي قد تم نشأته في الدول العربية لذلك فهو عربي خالص،** ذلك فهو لم يتأثر بأي مؤثرات أخرى.

* كما أن الخط العربي قد نال شرف عناية العرب الخاصة به، فقد أسهم في ذلك أنهم تفننوا وتباهوا في كتابة حروفه.

أهم أنواع الخطوط العربية

الخط الكوفي: هو من أجود الخطوط العربية شكلاً وتنسيقاً ومنظراً، وقد انتشر استخدامه في العصر الفاطمي في مصر، وفي إيران في عهد السلاجقة. **خط الثلث**: وهو من أصعب الخطوط كتابة، إذ تتعدد أشكال معظم الحروف. **خط النسخ**: والذي وضع قواعده الوزير ابن مقله، وقد أطلق عليه النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب. **الخط الفارسي**: وله طابع خاص؛ إذ يمتاز بالرشاقة في حروفه، إذ تظهر كأنها تنحدر من اتجاه واحد. **خط الرقعة**: ويمتاز بسهولة وسرعة كتابته. **خط الديوان**: وهو الخط الذي كان يستعمل في كتابة الدواوين.